

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



وزارت علوم، تحقیقات و فناوری

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

پژوهشکده ادبیات

گروه عربی

پایان نامه کارشناسی ارشد رشته زبان و ادبیات عربی

(دراسة بلاغية في سورة القلم، والحاقة، والمعارج)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية

الأستاذ المشرف:

الدكتورة زينة عرفت بور

الأستاذ المساعد:

الدكتور يد الله رفيعي

الباحثه:

زهرا بشيري

دی ۱۳۹۲

## الشكر والتقدير...

الحمد لله في الأولى والآخرة على ما أنعم به ومنّ عليّ بإتمام هذه الرسالة، وإِعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، أتوجه بجزيل الشكر والإمتنان العظيم لفضيلة الدكتورة عرفت پور التي تفضلت بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وأحاطتني بعنايتها ورعايتها ولطفها، ولم تبخل عليّ بأيّ نصح أو توجيه أو إرشاد، فجزاها الله عني خير الجزاء. كما لايسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الدكتور رفيعي الذي لم ييخل بتوجيهاته. ولايفوتني أن أعرب عن جزيل الشكر لحضرة الأستاذ الدكتور آل قيس الذي تفضل بمناقشة هذه الدراسة.

وختاماً لا أنسى أسرتي فأتقدم لهم بجزيل الشكر وذلك لما بذلوه لي من حسن رعاية، وتشجيع، وإهتمام بالغ.

الإهداء ...

أقدّم هذا العمل المتواضع

إلى الإمام القائم المنتظر المهدي (ع)

متمنيّة أن يكون راضياً عنه ...

## المستخلص

إنّ الإعجاز البلاغي هو أحد أنواع الإعجاز القرآني ويُدرس ضمن البلاغة. ففي هذا البحث قمنا بدراسة سورة القلم، والحاقة، والمعارج بمنتخب من الفنون البلاغية، وهي خروج الجمل الخبرية والإنشائية عن معناها الأصلي، التقديم والتأخير، الذكر والحذف، التشبيه، المجاز، الكناية، والسجع. إستخرجنا الفنون المنتخبة من الآيات ثم شرحنا كيفية إجراء كل فنّ، وغرضه، ودوره في إنتقال المعنى. وقد لاحظنا أنّ هذه الفنون أستخدمت في السور الثلاثة بشكل ملحوظ، ولها دور رئيسي في فهم المقصود من كل آية، والغرض الأساسي من كل سورة، وفي درك جمالها الفني. فالقرآن جمع بين الغرض الديني و الغرض الفني، فلهذا ظاهره أنيق وباطنه عميق، وهو أثر بليغ في أرقى درجاته.

**المفردات الرئيسية:** القرآن الكريم، البلاغة، الإعجاز البلاغي، سورة القلم، سورة الحاقة،

سورة المعارج.

## فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
المقدمة	١.....
١. تبين المسألة	١.....
٢. أهمية البحث وضرورته	٢.....
٣. أهداف البحث	٢.....
٤. أسئلة البحث	٢.....
٥. فرضيات البحث	٢.....
٦. خلفية البحث	٢.....
٧. منهج البحث	٤.....
التمهيد	٦.....
١. نظرة إلى تاريخ الدراسات البلاغية في القرآن الكريم	٦.....
٢. التعريف بالمصطلحات الواردة في الرسالة	١٦.....
القسم الأول: دراسة بلاغية في سورة القلم	٢٠.....
التعريف بالسورة	٢٣.....
دراسة بلاغية للسورة	٢٥.....

٢٥.....	الآيات ١-١٦ .....
٣٤.....	الآيات ١٧-٣٣.....
٤٣.....	الآيات ٣٤-٥٠.....
٥.....	الآيتان ٥١ و ٥٢.....
٥٩.....	القسم الثاني: دراسة بلاغية في سورة الحاقة .....
٦١.....	التعريف بالسورة .....
٦٢.....	دراسة بلاغية للسورة .....
٦٢.....	الآيات ١-٣ .....
٦٣.....	الآيات ٤-١٢ .....
٧١.....	الآيات ١٣-٣٧ .....
٨١.....	الآيات ٣٨-٥٢ .....
٨٥.....	القسم الثالث: دراسة بلاغية في سورة المعارج .....
٨٧.....	التعريف بالسورة .....
٨٨.....	دراسة بلاغية للسورة .....
٨.....	الآيات ١-١٨ .....

٩٢.....	آيات ١٩-٣٥
٩٤.....	آيات ٣٦-٤٤
١٠٠.....	النتيجة
١٠١.....	فهرس المصادر والمراجع
١٠٧.....	خلاصة البحث باللغة الفارسية



## المقدمة

### ١. تبين المسألة

إنّ البلاغة علم يتناول ظاهرة «اللغة» في حوزتين اللفظية والمعنوية، وهي تعلّم منهج التكلم البليغ والصحيح. إنّ القرآن الكريم كتاب فيه يكلم الله (خالق جميع اللغات)؛ البشر أجمعين، وهو معجزة من نوع «الكلام»، ومثّل أعلى للعمل البليغ الذي يكون في ذروة البلاغة. وهو على قول أمير المؤمنين علي (ع) ظاهره أنيق وباطنه عميق. فيمكن تبيينُ جانب من مفاهيمه العميقة وجمالياته الفنية بإستعانة علم البلاغة. في هذا البحث نرغب أن ندرس ثلاث سُور من القرآن الكريم (القلم، والحاقة، والمعارج) على أساس منتخب من الفنون البلاغية من علم المعاني، والبيان، والبديع بطريقة المنهج التوصيفي - التحليلي. والبحث يتكوّن من مقدمة وتمهيد وثلاثة أقسام. ستُدرس بلاغة كل من السُور الثلاثة في قسم مستقل.

### ٢. أهمية البحث وضرورته

إنّ القرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ويُعدّ أهم مصدرهم الديني. فمعرفة ضرورية لمعرفة دين الإسلام وإجراء قوانينه. ونحن المسلمون الإيرانيون نحتاج إلى هذه المعرفة أكثر فأكثر، لإختلاف لغتنا مع لغة القرآن الكريم. فالإهتمام بدراسات القرآنية يساعد المترجمين والمفسرين في تقديم الترجمات والتفاسير الصحيحة والجامعة.

إنّ البلاغة علمٌ وُلد من بطن القرآن الكريم، وأستخدم لخدمته، ويُعدّ من أهم العلوم لمعرفة. إنّ أغلب الكتب التفسيرية لم تستفد من فنون هذا العلم لتفسير القرآن، بل لمحوها لمحّة عابرة، دون عناية ببسط

الكلام فيها وتفصيله. ولم تُدرس السور الثلاثة المنتخبة في بحث مستقل بالإتجاه البلاغي حتى الآن، فهكذا تبدو دراستها ضرورية.

### ٣. أهداف البحث

١. الكشف عن عمق المفاهيم القرآنية بإستعانة علم البلاغة وإعتماداً على السور الثلاثة.
٢. الكشف عن جماليات الفنية في القرآن الكريم بإستعانة علم البلاغة وإعتماداً على السور الثلاثة.

### ٤. أسئلة البحث

١. ما هو مقدار الفنون البلاغية المستخدمة (بالنسبة إلى الفنون المنتخبة) في السور الثلاث؟
٢. ما هو دور الفنون البلاغية المنتخبة في إنتقال المفاهيم القرآنية إلى المخاطبين؟

### ٥. فرضيات البحث

١. على أساس الدراسات الإبتدائية يُفترض أنّ توظيف هذه الفنون كثير في هذه السور.
٢. على أساس الدراسات الإبتدائية يُفترض أن يكون لهذه الفنون البلاغية دور رئيس وملحوظ في إنتقال المفاهيم القرآنية إلى المخاطبين.

### ٦. خلفية البحث

وأما المصادر التي لها إرتباط كثير بموضوع هذا البحث تشتمل على:

١- الكتب

## ١-١- الكتب التفسيرية

١-١-١- تفسير التحرير والتنوير لإبن عاشور، طُبع هذا الكتاب بتونس في الدار التونسية، سنة ١٩٨٤، في ثلاثين مجلداً.

١-١-٢- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، الذي طُبع ببيروت، في دار إحياء التراث العربي، في ثلاثين مجلداً.

كلا الكتابين فسّرا جميع سور القرآن الكريم. وإتّهما إستفادا في تفسيرهما من أنواع الروايات، والأحاديث، والآيات القرآنية المتقدمة والمتأخرة في نفس السورة أو سور أخرى، وأيضاً من العلوم المختلفة كعلم الصرف، والنحو، واللغة، والبلاغة. فهما ذكرا كثيراً من الفنون البلاغية في السور وشرحها شرحاً وافياً في أغلب المواضع، خاصة تفسير التحرير.

## ١-٢- الكتب البلاغية

١-٢-١- بلاغة التقسيم والتأخير في القرآن الكريم لعلّي أبو القاسم عون، الذي طُبع بليبيا، في دار المدار الإسلامي، سنة ٢٠٠٦، في ثلاثة مجلدات. إنّ المؤلف في هذا الكتاب درس فن التقديم والتأخير (وهو من الفنون المنتخبة في هذا البحث) بأشكاله المختلفة في كلّ القرآن الكريم. وهو جاء بالآيات المرتبطة ذيل كل نوع من التقديم والتأخير، ثم عيّن موضع التقديم أو التأخير في كل آية، ثم شرح غرض أو أغراضه البلاغية.

١-٢-٢- بلاغة الإستفهام في القرآن الكريم لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الذي طبع بالقاهرة، في مكتبة وهبة، سنة ١٩٩٩، في أربع مجلدات. في هذا الكتاب إستخرج المؤلف الإستفهامات التي وردت في

كل سورة، ثم حدّث قليلاً عن موضوع الإستفهامات، ثم شرح أسرار النظم وبلاغياته فيها. وهو أشار إلى نقاط مفيدة خلال دراسته.

١-٢-٣- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم لمحمد حسين سلامة، الذي طبع بالقاهرة، في دار الآفاق العربية، سنة ٢٠٠٢، في مجلد واحد. إنّ المؤلف في هذا الكتاب تناول بدراسة بلاغة جميع السور القرآنية من سورة البقرة إلى سورة الناس. ومنهجه فيه أنّه كلّماً قليلاً عن موضوع السورة وسماتها في البداية، ثم إكتفى بذكر أبرز الفنون البلاغية المستعملة في كل سورة، وأشار إلى أغراضها البلاغية إشارة قصيرة جداً.

## ٢. المقالات

٢-١- البنيوية في القرآن الكريم (دراسة سورة «الحاقة» نموذجاً) لـ نرجس الأنصاري. حصلنا على هذه المقالة في موقع [vb.tafsir.net/attachments/tafsir](http://vb.tafsir.net/attachments/tafsir). إنّ هذه المقالة تسعى إلى تطبيق البنيوية على نصّ القرآني عامة وسورة الحاقة خاصة، ليحلّله على أساس المستويات الثلاثة (المستوى الإيقاعي، المستوى الدلالي، المستوى التركيبي). والكاتبة بعد ذكر مقدمة عن أصول النقد البنيوي والتعريف على مستوياتها، تقوم بدراسة السورة في كل من المستويات بشكل مجزّأ.

٢-٢- الإسناد المجازي في القرآن ملايساته وأسرار البلاغية لصديق مصطفى الريح. طُبعت في مجلة كلية الآداب بجامعة الخرطوم (السودان) في عدد ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٧. حصلنا عليها في موقع [adabjournal.uofk.edu](http://adabjournal.uofk.edu). إنّ هذه المقالة تعني بالوقوف على ألوان من معاني القرآن المجازية المتعلقة بالإسناد مع ربطها بإستعمال العرب وبيان الأسرار البلاغية واللطائف البيانية لذلك الإستعمال.

ومباحثها تشتمل على: حقيقة الإسناد، وأنواعه، ومكتشفه، وأسماءه، وتعريفه، وملابساته أو علاقاته، ومزايه في القرآن.

٢-٣- الجمال البلاغي في الحذف القرآني برعاية الفواصل عند المفسرين والبلاغيين (دراسة تحليلية بلاغية) لخالق داد ملك وآصف محمود. طُبعت في مجلة القسم العربي بجامعة بنجاب (لاهور - باكستان) في عدد ١٨، سنة ٢٠١١. وهذه المقالة تتناول بالبحث والمناقشة عدم ورود السجع في القرآن الكريم وإبراز الجمال البلاغي في صورة الحذف برعاية الفواصل فيه مع الشواهد القرآنية. والكاتب بعد أن عرّف فن الحذف، والفواصل، والسجع تعريفاً لغوياً وإصطلاحياً، أتى ببعض الآيات القرآنية التي وقع فيها الحذف لرعاية الفاصلة، ثم عيّن نوع الحذف وتقديره. وإن كان للحذف غرض آخر غير رعاية الفاصلة، أشار إليه وشرحه قصيراً.

## ٧. منهج البحث

منهجنا في دراسة الموضوع المقدم هو المنهج التوصيفي - التحليلي، وتفصيله كما يلي: من ثمّ لا يتيح المجال لدراسة جميع الفنون البلاغية في السور الثلاث، إنخبنا عدداً من الفنون البلاغية الهامة، وهي تشتمل على مباحث «خروج الجمل الخبرية والإنشائية عن معناها الأصلي»، و«التقديم والتأخير»، «الذكر والحذف» في علم المعاني، والمباحث الثلاثة في علم البيان (التشبيه، والمجاز، والكناية)، ومبحث «السجع» في علم البديع. ثم راجعنا المكتبات والمواقع الإلكترونية المختلفة، ودرسنا كثيراً من المصادر المرتبطة بالموضوع، وإستخرجنا المضامين المقصودة، ثم دوّنا الرسالة على أساس المضامين الحاصلة، وهيكلية الرسالة كما سيأتي:

في البداية تأتي المقدمة وهي تشتمل على: تبيين المسألة، وأهمية البحث وضرورته، وأهداف البحث، وأسئلة البحث، وفرضيات البحث، وخلفية البحث، ومنهج البحث. ثم يأتي التمهيد وهو ينظر نظرة عابرة إلى تاريخ الدراسات البلاغية للقرآن الكريم، ثم يقدم تعريفاً للمصطلحات الواردة في الرسالة. ثم نتناول دراسة السور البلاغية في ثلاثة أقسام، وكل قسم يختص بأحد السور ويدرسها في مرحلتين: المرحلة الأولى تعرف السورة بمختصاتها وهي تشتمل على رقم السورة في التنزيل، رقم الجزء الذي وقعت فيه، عدد آياتها، كونها مكِّي أو مدنيّ، مواضيعها وغرضها. والمرحلة الثانية وهي المرحلة الأصلية من الرسالة في الحقيقة، يتناول دراسة السورة البلاغية، في هذه المرحلة تُستخرج الفنون البلاغية المنتخبة من كل آية ويُشرح السرّ أو الأسرار البلاغية فيها.

## التمهيد

### ١ . نظرة إلى تاريخ الدراسات البلاغية في القرآن الكريم

إنّ المسلمين الأوّلين كانوا يتمكّنون أن يفهموا كلام الله في يسر، ويدركوا كوامن أسرارهِ، ويستشعروا سرّ إعجازه عند سماعهِ، ويستعصموا بعقائدهم على الملحدّين الملبسين في الدين بمتشابهاته، وكلّ ذلك لأنّهم كانوا سليم الذوق والطبع. (الخطيب القزويني، لانت، ج ١: ٥) ففي هذا المجال ينقل الدكتور كوّاز عن قول الزركشي: «فإذا سكت الأولون من السلف الصالح عن الكلام في الإعجاز البلاغي؛ لأنّ القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان، ولم يقصد منه تعليم طُرُق الفصاحة، وإتّما جاءت لتكون معجزة... وكانت معرفتهم بأساليب البلاغة ممّا لا تحتاج فيه إلى بيان بخلاف إستنباط الأحكام، فلهذا تكلموا في الثاني دون الأول». (الكواز، ١٤٢٦: ٣١)

ولكن «في أوائل القرن الثاني الهجري تقريباً إنتشر الإسلام، وخرجت اللغة العربية من موطنها الأصلي، وإمتزج العرب بالأعاجم، وكان لهذا الإمتزاج آثاره الخطيرة في اللغة والدين. أمّا اللغة فقد لانت وسهلت، وكثر عدد المتكلمين بها، ولكنها من ناحية أخرى تسرّب إليها اللحن والفساد، فأخذ الذوق العربي ينحرف، وبدأت الملكات تضعف، والإحساس ببلاغة الكلام يقل، خاصة عند العرب الذين تركوا موطن اللغة الأصلي والأعاجم الذين أخذوا العربية تعلّماً لاسليقة. وأمّا الدين فقد إنتشر وشمل الملايين، ولكنه إبتلى بمنحرفين يضمرون الكفر ويظهرون الإسلام». (عرفه، ١٩٨٥: ٧٩٧)

فهذا كلّه دفع العلماء لدراسة لغة القرآن الكريم وإثبات إعجازه. فكتبوا فيه طوائف مختلفة من العلماء كالمفسرين، واللغويين، والنحويين، والمتكلمين و... ويرى بينهم علماء كأبي عبيدة، والجاحظ، وابن قتيبة، والرقماني، وأبي هلال العسكري، والباقلاني، والجرجاني، والفخر الرازي، والسكاكي و... فظهر كثير من الكتب التي تبحث في معاني القرآن ومشكله ومجازه ونظمه وإعجازه. (عتيق، لا.ت: ١٤)

فإنّ أكثر أهل النظر ذهبوا إلى أنّ إعجاز القرآن من قبل البلاغة. ومادام الأمر كذلك فعليهم أن يبينوا وجوه البلاغة، وما يتميز به القرآن الكريم على غيره من الكلام لأخذه بها. لقد بدأ هؤلاء العلماء يتحدثون عن مراتب الكلام ودرجاته. ويقولون: «إنّ أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيين متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة. غير متساوية. فمنها البليغ الرصين الجزل. ومنها الفصيح القريب السهل. ومنها الجائز الطلق الرسل. وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع المهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة»... وهكذا لقد نشأت البلاغة\_ كغيرها\_ من العلوم العربية في ظل الدراسات القرآنية، وكان البحث في إعجاز القرآن الكريم من العلوم التي ساعدت على نشأة هذا العلم، وتطور مباحثه. (الفيل، ١٩٨٧: ١٥ و ١٦)

أول صحيفة مكتوبة في البلاغة تكون لأحد رجال المعتزلة «بشر بن المعتمر» (٢١٠ هـ.ق). وذلك في الصحيفة التي اشتهرت باسمه... وفي هذه الصحيفة نجد بشراً يحدثنا عن المعاني وما يناسبها من الألفاظ. كما يحدثنا عن اللفظ وما يجب أن يكون عليه من الرشاقة والعدوبة والخفة. ونجد فيها حديثاً عن ضرورة موافقة الكلام لمن يوجه إليه من جهة، ومناسبتة لموضوعه من جهةٍ أخرى، أو ما أطلق عليه البلاغيون مراعاة الكلام لمقتضى الحال. (الفيل، ١٩٨٧: ١٦)



ومن الأسماء اللامعة التي أسهمت في هذا الحقل هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي الذي ألف كتابه مجاز القرآن وبرزت على يديه بعض المصطلحات البلاغية والآراء البيانية التي كانت النواة الأولى في بناء صرح البلاغة التعليمية العربية. وسار على منهجه تقريباً الفراء في كتابه معاني القرآن.... ومنهم الجاحظ أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكناني المعتزلي الذي تمكن من الدفاع عن البيان العربي وإبراز قيمته، وتحديدته وجمع عدة تعريفات للبلاغة، وأبرز محاسن النظم القرآني... ورسم المنهج الذي يراه للوقوف على إعجاز القرآن وبيان سرّ إعجازه... واستطاع الجاحظ أن يحدد مكان الميزة البلاغية ويجعلها في «الصورة» التي يحدثها النظم كما نمت المصطلحات البلاغية على يديه وتمكن من تعريف الإستعارة لأول مرة في تاريخها. كما حشد في كتبه نماذج من عيون الأدب العربي كانت زاداً لا ينفد لمن أتى بعده من البلاغيين. ومنهم أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وألف كتابه تأويل مشكل القرآن وخطت المصطلحات البلاغية على يديه خطوة نحو التويب والتنظيم، ودافع عن «المجاز» دفاعاً حاراً موضحاً أنه ضرورة لغوية لا يستغني التعبير عنه.... ومنهم أبو الحسن علي بن عيسى الرماني وألف كتابه النكت في إعجاز القرآن وتمكن من تحديد بعض الوجوه البلاغية التي ذكرها تحديداً نحاتياً، وبلغت الصورة البيانية على يديه مرحلة صباها كما استطاع أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين أن يتصور «النظم» وأن يجمع المقاييس البلاغية ويهدبها ويشذبها ويضيف إليها. ويؤكدان معاً على ورود الألوان البديعية في القرآن الكريم والشعر العربي القديم ودور المجاز في التعبير الفني.... ومنهم القاضي أبو محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني الذي ألف كتابه القيم إعجاز القرآن. هو رفض بقوة أن تستقل ألوان البديع أو الوجوه البلاغية بالكشف عن وجه الإعجاز البياني، ورأى أنّ وجه إعجاز القرآن الكريم في نظمه. (أنظر: عرفه، ١٩٨٥ : ٧٩٨-٨٠١) ثم جاء عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني وله ثلاثة كتب تتعلق بالبلاغة والإعجاز القرآني وهي أسرار البلاغة، والرسالة الشافية، ودلائل الإعجاز.... ثم ألف في البلاغة

والإعجاز محمد بن عمر الرازي حيث لخص بلاغة الجرجاني والزمخشري.. ثم جاء بعده السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي وألف مفتاح العلوم، ثم تبعهم السيد يحيى بن حمزة العلوي اليميني له كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. وأغلب من جاء بعد هؤلاء نسج على منوالهم أو خالفهم أو كان عيالاً عليهم. (أنظر: النجدي، ١٩٩٠: ٤٠-٤٨)

ولكن أشهر من إهتم بقضية الإعجاز القرآني هو عبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١هـ.ق. كما قلنا له ثلاثة كتب في مجال البلاغة والإعجاز القرآني. أولها كتاب أسرار البلاغة حاول فيه الجرجاني أن يحدد فيه أسس الحكم على النتاج الأدبي وفق مقياس صحيح، بعد أن رأى إختلاف من سبقه في المقياس للكلام البليغ، هل هو المعنى أم اللفظ أم اللفظ والمعنى معاً؟.. فقرر الجرجاني أنّ سر البلاغة يكمن في المعنى الذي تولده الألفاظ، إذا انتظمت على ضرب خاص من التأليف، بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حسب ترتيب معانيها في النفس وهذه المعاني يكون ترتيبها في النفس حسبما يقتضي العقل. وبعد أن قرر الجرجاني هذه القضية بدأ يشرح الطريقة التي يجب أن تسلك في دراسة المعاني وأحوالها وكيفية تصرفها في القول البليغ... وهدف الجرجاني في هذا الكتاب تحليل الوجه البلاغي لإعجاز القرآن، وتعليل الحكم على الكلام البليغ بشكل مفصل ودقيق ولم يكتف بالوصف الإجمالي للمزايا البلاغية، بل لا بد من الإشارة إلى مواضعها من الكلام....

أما رسالة الجرجاني (الشافية) فكان يهدف من تأليفها إثبات عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم على ضوء ما توصل إليه في كتابه أسرار البلاغة...

أما الكتاب الثالث وهو دلائل الإعجاز فإنه يثبت فيه أنّ القرآن الكريم معجز بذاته وأنّ سر الإعجاز البلاغي في نظمه، وفي هذا الكتاب يتكلم عن نظرية «النظم» في قسمين: في القسم الأول يثبت بأنّ

العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق... وفي القسم الثاني من نظرية النظم يثبت الجرجاني أنّ المعاني التي يتعلّق بها الفكر ويرتّبها في النفس هي معاني النحو، وليست معاني الكلمات في ذاتها... وبعد أمثلة يخلص الجرجاني من الإستدلال على صحة شطري نظرية النظم بطريقة علمية مقنعة.. وبعد أدلة طويلة يخلص إلى أنّ صورة المعنى هي المقياس في البلاغة، ثم يقيم الأدلة على خطأ من يعتبر التفاضل في الكلام قائم على أساس المعنى لا على أساس صورة المعنى. (أنظر: النجدي، ١٩٩٠: ٤١-٤٦)

ولعل من أبرز الأمور التي يشار إليها في بلاغة عبد القاهر الجرجاني، أنّه يخصّص أسرار البلاغة لألوان التصوير البياني. ومدى كشف هذه الصورة البيانية أو تلك عن المعنى. وهو يتناول هذه الصور بالتحليل كاشفاً عن وجه الحسن فيها. كما أنّه لا يكتفي بالتفريق بين الصورة والصورة على مجرد التعريف. بل يأخذ في بيان الفروق عن طريق الأمثلة المختلفة... أنّه قد ربط المسائل الفنية بالمعاني التي تعبر عنها. وجعل للمغزى الذي يعبر عنه المتكلم دخلاً في بلاغته. (الفيل، ١٩٨٧: ٢٦)

في الحقيقة إنّ الجرجاني درس الوجه البلاغي لإعجاز القرآن من خلال كتابيه العظيمين دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة. فوضع أساس علم المعاني بالأول، وأساس علم البيان بالثاني. فصار إمام البلاغيين في العربية غير منازع ولا مدافع. (ضيف، لا.ت: ٣٧٣)

«ومضى الجرجاني بعد أن أتمّ توجيه البلاغة لتكون علم الإستدلال للإعجاز، ونقل القضية نقلة حاسمة إلى ميدان الدرس البلاغي بمعزل عن القرآن نفسه، فرسم معالم الطريق لمن جاءوا بعده، فأفردوا البلاغة بالدرس والتأليف المستقل، يرون أنّهم بهذا يخدمون المعجزة القرآنية ويهدون إلى فهم إعجازها». (عبد الرحمن، ٢٠٠٤: ١٢٨)

فهكذا وُلد علم البلاغة من بطن القرآن الكريم. فلهذا إشتغل به فريق من الدارسين بعد الجرجاني كعلم مستقل بعيداً عن قضية الإعجاز، ووسعوا القواعد التي أصَّلها الجرجاني ورَتبها وشرحها، وإكتفوا من القرآن الكريم بإتيان شواهد منه كأمثال لفهم قواعده. ولكن فريق آخر إستمروا دراسة إعجاز القرآن البلاغي، وركّزوا في دراساتهم على القواعد التي وضعها الجرجاني.

«ومن كبار العلماء الذين جاؤوا بعد عبد القاهر الجرجاني وألّفوا في البلاغة والإعجاز الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي المتوفي سنة ٥٣٨هـ.ق. فألّف الكشاف في تفسير القرآن، وبيّن أنّ إعجاز القرآن لوجهين: لإعجاز نظمه وإخباره بالمغيبات». (النجدي، ١٩٩٠: ٤٧ و٤٨) فهو «فسّر القرآن الكريم في كتابه الكشاف مطبقاً تطبيقاً دقيقاً على آياته كل ما إستنبطه عبد القاهر من قواعد وأصول في العلمين جميعاً؛ إذا تمثل كتابيه الدلائل والأسرار تمثلاً رائعاً، نافذاً إلى إستكمال كثير من شعب المعاني الإضافية، حتى ليتمكن أن يقال إنّ علم المعاني تكامل عنده بكل تفاصيله ودقائقه. وبالمثل تكامل علم البيان وأحكمت حدود صورته». (ضيف، لا.ت: ٣٧٣)

ويحدثنا الدكتور الفيل نقلاً عن ابن خلدون عن مكانة الكشاف بين التفاسير: «ويحدثنا ابن خلدون عن أنّ تفسير الزمخشري كلّ مبنى على أصول علم البيان أو كما يقول: "وهو كله مبنى على هذا الفن وهو أصله" كما بيّن أنّ تفاسير المتقدمين غفل منه. وظلت كذلك إلى أنّ ظهر كتاب الزمخشري فسّد هذا الفراغ وجبر النقص. يقول ابن خلدون: "وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشري، ووضع كتابه في التفسير، وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير". (الفيل، ١٩٨٧: ٢٤) ثم ينقل عن السيد يحيى بن حمزة العلوي صاحب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: إنّ الزمخشري أسّس الكشاف على قواعد علم

البلاغة، فإنّضح عند ذلك وجه الإعجاز من التنزيل، وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل، وتحققوا أنّه لا سبيل إلى الإطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلّا بإدراكه، والوقوف على أسراره وأغواره. ومن أجل هذا الوجه كان متميزاً عن سائر التفاسير، لأنّي لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواه. (المصدر نفسه: ٢٤)

العلماء الذين أتوا بعد الإمام عبد القاهر والزمخشري لم يحاولوا أن يضيفوا إلى البلاغة شيئاً يذكر، ولا أن يدرسوها كما هي. فإذا هم يكتفون بتلخيص بلاغة الإمام عبد القاهر، وقد يلخّصون معه بلاغة الزمخشري، تلخيصاً جافاً. وكانت هذه التلخيصات يشوبها الغموض فعمدوا إلى شرحها وعمل الحواشي والتقاريرات عليها. وسرعان ما تعطلت الينايع العقلية والذوقية التي أمّدت عبد القاهر والزمخشري بكتابتهما البلاغية التي تملأ النفس إعجاباً، وأصبحت البلاغة في خدمة كتب البلاغة نفسها لا في خدمة قضية الإعجاز. وكان من أهمّ الأسباب في ذلك سريان روح الحمود والتعقيد في الأدب بنوعيه من الشعر والنثر وإنعكاس ذلك على البلاغيين؛ إذ تُدرس القواعد البلاغية دون عناية بتحليل النصوص الأدبية، وتمتزج بمباحث منطقية وفلسفية وكلامية وأصولية ونحوية كثيرة، تسرع بها إلى الجفاف والجمود. (ضيف، لا.ت: ٣٧٤ وعرفه، ١٩٨٥: ٨٠٢ و٨٠٣)

وكان أول من دفعها في هذا الإتجاه الفخر الرازي، إذ صنّف أول تلخيص لكتابي عبد القاهر: *دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة* مفيداً من كتابات الرّماني وكشاف الزمخشري.. وكان شغوفاً بالحدود والتعاريف وتشعيب الأقسام، وأفحّم مسائل المنطق والكلام والنحو على تلخيصه مما جعله يتشكّل في صورة من القواعد الجافة الجامدة. وخلّفه السكاكي في القسم الثالث من كتابه *مفتاح العلوم* مستهدياً بصنيعه، ومضى يتعمق في قراءة عبد القاهر والزمخشري، نافذاً إلى وضع علمي المعاني والبيان في صيغتهما النهائية

التي استقرت على العصور. واستعان في عمله بالمنطق وما أثار المتكلمون والأصوليون والنحاة من بعض الآراء. وضمَّ إلى تنسيقه للعلمين السالفين ذيلًا تحدث فيه عن الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية. وبذلك أصبحت مباحث البلاغة عنده تشمل المعاني البيان وتوابعهما من البديع، وتحوّلت إلى قواعد جافة جامدة كقواعد الصرف والنحو، مع غير قليل من العسر والإلتواء. حتى لتصنع لها الشروح تلو الشروح. (ضيف، لا.ت: ٣٧٤)

وتظهر بعد السكاكي دراسات جانبية انحرف بها أصحابها عن طريقه أو ساروا فيها سيراً غير دقيق، نذكر منهم ابن الزمكاني الذي حاول تلخيص دلائل الإعجاز لعبد القاهر، وهو تلخيص غير دقيق. ومنهم بدر الدين بن مالك الذي لخص القسم الثالث من كتاب المفتاح للسكاكي وضمَّن تلخيصه شيئاً من الترتيب، غير أنه ينقصه تحرير المسائل. ومنهم التنوخي وهو يطلق البيان على كل فنون البلاغة مثل ضياء الدين بن الأثير وقد استضاء به دائماً مضيئاً دراسات منطقية ونحوية كثيرة. ومنهم ابن قيم الجوزية، وعمله أدنى إلى الجمع غير المنظم لمباحث ابن الأثير وأصحاب البديع. ومنهم يحيى بن حمزة العلوي الذي استلهم الفخر الرازي وضياء الدين بن الأثير وبدر الدين بن مالك وبعض علماء الأصول مما جعله يضطرب بين مناهج مختلفة إضطراباً أفقده دقة التصنيف. (المصدر نفسه: ٣٧٤ و ٣٧٥)

وأهمّ من نزعوا عن قوس السكاكي الخطيب القزويني، فإنه صنّف تلخيصاً دقيقاً لمباحثه البلاغية في المفتاح، ذلل فيه صعوباته تديلاً، مع الإستضاءة بتلخيص بدر الدين بن مالك وبآراء عبد القاهر والزخشري، وهو يناقش الأخيرين كثيراً.. ورأى في هذا التلخيص إجمالاً أكثر مما ينبغي فصنّف كتابه الإيضاح بيسط فيه معانيه المحملة وقضاياه المشكّلة. وأقبل شراح مختلفون على التلخيص يشرحونه بين مصري وإيراني ومغربي. ومن أهمهم السبكي المصري وسعد الدين التفتازاني وابن عربشاه الإسفرايني وابن